الاسد له وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون ولابه الا هذا الا في اللوم وثانيها انه
تعالى اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت
عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل والنهار
والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول ضرره قال جرير يرثي
عمر بن عبد العزيز   الشمس طالعة ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وقال يزيد بن المفرغ   الريح تبكي شجوها   والبرق يلمع في الغمامه   وهذا صنيعهم
في كل امر جل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا
لفقد نور الشمس وضوءها قال النابغة   تبدو كواكبه والشمس طالعة
لا النور نور ولا الاظلام اظلام   وقال طرفة   ان تنوله فقد تمنعه
وتريه النجم يجري بالظهر   ومن هذا قولهم لاريتك الكواكب بالنهار معناه
اي اورد عليك ما يظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب فاما بيت جرير
فقد قيل في انتصاب والقمر وجوه ثلثة احدها انه اراد ان الشمس طالعة وليست
مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم الرزء قد سلبها ضوءها فلم يناف طلوعها
ظهور الكواكب والوجه الثاني ان يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك
الابد والدهر وطوال المسند وما جرى مجرى ذلك وكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت
النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر والنجوم باكين الشمس على هذا المرثي المفقود
فبكيتهن كما تقول باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته وفضلت عليه
وثالثها ان يكون معنى الاية الاخبار عن انه لا احد اخذ بثارهم ولا انتصر لهم
لان العرب كانت لا تبكي على القتيل الا بعد الاخذ بثاره وقتل من كان بواه من عشيرة
القاتل فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين
خوطبوا بالقران ورابعها ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل
صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رضه في قوله
تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قيل له او يبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض
ومصعد عمله في السماء وروى انس بن مالك عن النبي صلعم انه قال ما من مؤمن الا وله باب
يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء هاهنا الاخبار
عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده قال ابن مقبل   لعمر ابيك لقد شاقني
مكان حزنت له او حزن   وقال مزاحم العقيلي   بكت دارهم من اجلهم فتهللت
دموعي فاي الجازعين الوم   امستعبرا يبكي من الهون والبلى   ام اخر يبكي شجوه ويهيم

فاذا

[Margin: نيضي ك — بن مفرغ الحميري صح — النجوم صح — المسند الدهر ح — اي غلبتهن بالبكاء صح — البواء السواء يقال ابوام فلانا بفلان اذا كان كفوا الدم ص — لعله جوهرى عمله — لعله اذ]

فاذا لم يكن لهولاء القوم الذين اخبر الله عن بوارهم مقام صالح في الارض ولا عمل كريم
يرفع الى السماء جاز ان يقال فما بكت عليهم السماء والارض ويمكن في الاية وجه خامس
وهو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون
معنى الاية ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في
ذلك لانهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون
لمواضع حفرهم الزهر والرياض قال النابغة   فلا زال قبر بين تبنى وجاسم   بل
عليه من الوسمي طل ووابل   فينبت حوذانا وعوفا منورا   سانبعه من خير ما قال قائل
وكانوا يجرون هذا الدعا مجرى الاسترحام ومسلة الله تعالى لهم الرضوان والفعل الذي
اضيف الى السماء وان كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان
يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا قال الشاعر   ياليت زوجك قد غدا
متقلدا سيفا ورمحا   فعطف الرمح على السيف وان كان التقليد لا يجوز فيه لكنه اراد
وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الاية فيقال انه تعالى اراد ان السماء لم تسق قبورهم
وان الارض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه تاويل خبر
روى ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال ان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فعليكم من الاعمال
بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه عم بالملل وجوه اربعة اولها انه
اراد نفي الملل عنه وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تع ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر   فانك سوف تحلم او تناهى
اذا ما شبت او شاب الغراب   اراد انه لا يحلم ابدا فان قيل ومن اين قلتم ان ما
علقه به لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم ان
الملل لا يشمل البشر في جميع ارائهم واوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة وامل
وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم تعالى انه لا يكون بمللهم والوجه الثاني ان يكون المعنى
انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجتكم
الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسميتها
الشي باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي
ثم اضحوا لعب الدهر بهم   وكذاك الدهر يودي بالرجال   وقال عبيد بن الابرص الاسدي
سائل بنا حجر ابن ام قطام اذ   ظلت به السمر الذوابل تلعب   فنسب اللعب
الى الدهر والقنا تشبيها قال ذو الرمة   وابيض موشي القميص نصبته

[Margin: فما بكت عليهم السماء والارض — الله تعالى صح — لعله علمتم — اي ارادتهم]

Copyright ... University